الفصل السابع

كلمةٌ أخيرة :

لابدَّ من كلمةٍ أخيرة نختم بها البحْث الذى يسَّره الله تعالى لنا ، وأفاضه عَلَيْنا من فُتُوحِهِ ، والذى نَرْجو أن يكون وافياً مقبولاً ، وأنْ يُؤْتى أُكُله بإذنِهِ سُبْحانه .

نتوجه بهذه (الكلمة) إلى رُوّاد الفكر والتنظيم من دُعاةِ اليقظة والنهضة الإسلامية المعاصرة ليوجّهوا قِسْطاً كبيراً من جهودهم نحو الفتاة المسلمة ، لأنها بالْفِعل وفى الحقيقة مرتكز ومحْور البناء الأُسْرى ؛ ثم لا يَسْتغرقهم العمل الفكرىُّ والتنظيمىّ ، فَيَصرِفهم ذلك عن التوجُّه إلى الأساس نحو السطحيّة ، كما هو حاصلٌ ، ومُشاهد .

إن (المكتبة الإسلامية) زاخرةٌ بالبحوث والدراسات ، وأكثرها من حيث الموضوعيّة والعُمْق جيِّدة طيبة ، تَسْتلهم الصِّدق فى الكلمة ، وتدُور مع الكتاب الكريم والسنّةِ الشريفة ، فلا تعدو عنهما ؛ ولكنها تُعْطى آهتماماً أكثر وأكْبر جانباً واحداً من الكيان البشرى المزدوج ، فتُعطى الذَّكَر أكثر مما تعطى الأُنثى ...

ولئن توجَّهَتْ فى أفكارها نَحْو (المسْلم) من غير تمييزٍ بيْن الجنسيْن فى أكثر الأحيان فإنّها لا (تخصِّص) فى مسئوليَّة البناء ، أو (تحدِّد) الواجبات ...، أو (ترسُم) إطار التّبعات ...، فى تمايُز يبدأ من حيث المهمّات النظريّة مُنْفصلاً ، وينتهى فى بُوتقةِ الأُسْرةِ مُتّصلاً متكاملاً ...

وكثيراً ما نجد فى (المكتبة الإسلامية) كَمًّا هامًّا ووافراً من البحوث الأُنثوية ، فيما يتعلّق بالمرأةِ المسلمة ، أو الفتاة أو الزوْجة ...، ولكنه فى أكثريّته الساحقة لا يتناول (العُمْق) المنْشود ، فلا يعتبرها من حيثُ القيمة الحياتية لدى الأُمم ، وخاصةً أمتنا الإسلامية ، نُقطة الارتكاز ، وأن وظيفتها التربوية على الأرض أهم وأعظم بكثيرٍ من وظيفة الرجُل ودَوْره .

إن بيْن كلمتىْ (الأُمّة) و (الأُمّ) أكثر من وشيجة ..، إنهما من حيث اللفظ الظاهرى ومادّة الحرْف واشتقاق اللغة تنمّانِ عن وحْدة الأصْل ..

وهلا لاحظْنا ـ مثلاً ـ تاء (التّأنيث) فى كلمة الأمّة ، وما يُمكن أن تحْمل من مدلولٍ ومعنى ؟!! وهلّا لاحظنا أن كلمة (الأمّ) اسمُ مؤنّث معنوى !!.

وكذلك (الأرض) أُمنا جميعاً ﴿ **منها خلقناكم وفيها نعيدكُم ومنها نُخرِجَكُم تارةً أُخرى** ﴾ !! و(السماء) التى جعلها البارى سبحانه فوقنا سقفاً مرفوعاً ، وقدّرها سبْعاً طباقاً !!! وزينها بمصابيح رجوماً للشياطين ، وعلامات للبشر ﴿ **وبالنجم هُم يهتدون** ﴾ !!!، وأيضاً (الشمس) أُمّ الكوْن التى وضعت فيها يد العناية الإلهية سِرّ البقاء والنّماء والاهتداء لكُلّ الأحياء !!!؟.

هلّا لاحظنا الأُنثويّة فى كل هذا معنىً واسماً ، وحقيقة الأمومة ؟! أيضاً ...

عزيزى القارئ :

لابُدّ من إدراك قيمة التربية للفتاة ، من خلال العَرْض ومن خلال الممارسة الفعلية والحياتية فى دُنيانا .

وأسأل الله العلى القدير أن يوفقنا دائماً وأبداً لما يحِبُّه ويرضاه ، وأن يهدينا سواء السبيل ، وأن يُبَصِّرنا بـ (فضل تربية البنات) على أساس متينٍ من الدين القويم ، ويسدّد خطانا على الصراط المستقيم ؛ إنه على ما يشاء قدير .

أخى القارئ المسلم :

﴿ **إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم** ﴾[1] هكذا أوحى الله إلى نبيه « محمد » ﷺ قرآناً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

---

(١) الرعد : ١١ .

وتلك قاعدة القواعد ، وأس الأسس ... ولقد تغيرت نفوس المسلمين ﴿ **وحسبوا ألا تكون فتنة فعموا وصموا** ﴾ فتبدل حالهم إلى ما هم عليه !!، وما نراه ونلمسه !!.

والنفس عقل وحس ...، إدراك ووعى وشعور متجاوب فلا نريد أن تَظَلَّ الكلمة العاقلة الواعية من غير مضمون حسّىّ متفاعل ، فإلى متى تبقى كلماتُ المصلحين والدُّعاة (المخلصين) جامدة الحروف ، ميتة الرسم !!، إلى متى ؟ .

إذاً لابُدّ من التَّغْيير بانقلاب نَفْسىّ من الداخل يتفاعل مع (بطّاريّة) الوجْدان ، وحرارتها وشُحْنتها ، كْى يُغَيِّر الله ما بنا ...، من تقهقُرٍ وتفتُّتٍ وتَشتُّتٍ و ... ضياع .

... ولْنَبْدأ بتربية البنات ، لنكْسب الدنيا والآخرة .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المؤلف فى
١٥ رجب ١٤٠٤ هـ
الموافق ١٧ إبريل (نيسان)